قال عكرمة ومجاهد مجانب للحق معاند لله قوله مناع للخير اي كثير المنع للمال والواجب من الزكاة وكل حق واجب في ماله هذا اذا قلنا ان الكفار هو المنكر نعم الله وان قلنا من الكفر فهو الذي انكر دلايل وحدانية الله تعالى مع قوتها وظهورها فكان شديد الكفر عنيدا حيث انكر الحق الواضح فهو مناع شديد المنع من الايمان فهو مناع للخير وهو الايمان الذي هو خير محض كانه يقول كفر بالله ولم يقنع بكفره حتى منع الخير من الغير قوله معتد فان فسرنا المناع بمناع الزكاة فمعناه لم يود الواجب وتعدى ذلك حتى اخذ الحرام ايضا بالربا كما كان عادة المشركين وان كان المناع بمعنى منع الايمان فكانه يقول منع الايمان ولم يقنع به حتى تعداه واهان من امن واذاه واعان من كفر واواه قال المفسرون هو الظالم الذي لا يقر بتوحيد الله وقوله مريب اي شاك في التوحيد ومعناه داخل في الريب وقيل موقع للغير في الريب بالقاء الشبه وان قيل بان المناع مناع الزكاة فمعناه لا يعطي الزكاة لانه في ريب من الاخرة والثواب قال ابن الخطيب وفيه ترتيب اخر وهو ان تعالى هذا بيان احوال الكافر بالنسبة الى الله والى الرسول والى اليوم الاخر فقوله كفار عنيد اشارة الى حاله مع الله يكفر به ويعاند اياته وقوله مناع للخير معتد اشارة الى حاله مع الرسول يمنع الناس من اتباعه ومن الانفاق على من عنده ويتعدى بالايذا وقوله مريب اشارة الى حاله بالنسبة الى اليوم الاخر اي يرتاب فيه ولا يظن ان الساعة قايمة فان قيل قوله تعالى القيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير الى غير ذلك يوجب ان يكون الالقا خاصا بمن اجتمع فيه هذه الصفات باسرها والكفر وحده كاف في اثبات الالقا في جهنم فالجواب ان قوله كل كفار عنيد ليس المراد منه الوصف المميز كما يقال اعط العالم الزاهد بل المراد الوصف المبين لكون الموصوف موصوفا به اما على سبيل المدح او على سبيل الذم كقولك هذا حاتم السخي فقوله كل كفار عنيد معناه ان الكفر عنيد ومناع للخير لان ايات الوحدانية ظاهره ونعم الله على عباده وافره وهو مع ذلك عنيد ومناع للخير لانه يمدح دينه ويذم دين الحق فهو معتد ومريب لانه يرتاب في الحشر وكل كافر فهو موصوف بهذه الصفات قوله الذي جعل يجوز ان يكون منصوبا على الذم او على البدل من كل وان يكون مجرورا بدلا من كفار او مرفوعا بالابتدا والخبر فالقياه قيل ودخلت الفا لتشبهه بالشرط ويجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اي هو الذي جعل ويكون فالقياه تاكيدا وجوز ابن عطية ان يكون صفة لكفار قال من حيث يختص كفار بالاوصاف المذكورة فجاز وصفه بهذه المعرفة وهذا مردود وقرى بفتح التنوين في مريب فرارا من توالي اربع متجانسات قوله قال قرينه جات هذه بلا واو لانها قصد بها الاستيناف كان الكافر قال رب هو اطغاني فقال قرينه رب ما اطغيته بخلاف التي قبلها فانها عطفت على ما قبلها للدلالة على الجمع بين معناها وبين ما قبلها في الحصول اعني مجي كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال قال ابن الخطيب جات هذه بلا واو وفي الاولى بالواو العاطفة لان في الاولى اشارة الى معنيين مجتمعين فان كل نفس في ذلك الوقت تجي ومعها سايق وشهيد فيقول الشهيد ذلك القول وفي الثاني لم توجد هناك معنيان مجتمعان حتى يذكر بالواو فان الفا في قوله فالقياه في العذاب لا يناسب قول قرينه ربنا ما اطغيته فليس مناسبة مقتضية للعطف بالواو فصل هذا جواب لكلام مقدر كان الكافر حين ما يلقى في النار يقول ربنا اطغاني شيطاني فيقول الشيطان ربنا ما اطغيته بدليل قوله تعالى لا تختصموا لدي لان المخاصمة تستدعي كلاما من الجانبين ونظيره قوله تعالى في سورة ص قالوا بل انتم لا مرحبا بكم الى قوله ان ذلك

لحق

لحق تخاصم اهل النار قال الزمخشري وهذا يدل على ان المراد بالقرين في الاية المتقدمة هو الشيطان لا الملك الذي هو شهيد وقعيد وعلى هذا فيكون قوله ربنا ما اطغيته مناقضا لقوله اعتدته قال ابن الخطيب وللزمخشري ان يجيب بوجهين احدهما ان يقول ان قول الشيطان اعتدته بمعنى زينته له الثاني ان تكون الاشارة الى حالين ففي الحالة الاولى انا فعلت به ذلك اظهارا للانتقام من بني ادم تصحيحا لقوله فبعزتك لاغوينهم اجمعين ثم اذا راى العذاب وهو معه مشترك يقول ربنا ما اطغيته فيرجع عن مقاله عند ظهور العذاب وقال ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل المراد بالقرين هنا الملك اي يقول الكافر رب ان الملك زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا ما اطغيته يعني ما زدت عليه وما كتبت الا ما قال وعمل ولكن كان في ضلال بعيد اي طويل لا يرجع عنه الى الحق فان قيل القايل هنا واحد وقال ربنا ولم يقل رب وفي كثير من المواضع القايل واحد وقال رب كقوله رب ارني وقال نوح رب اغفر لي رب لا تذر على الارض رب السجن احب الي رب ابن لي عندك بيتا رب انظرني فالجواب ان في جميع تلك المواضع القايل طالب ولا يحسن ان يقول الطالب يا رب اعطني وانما يحسن ان يقول اعطنا لان كونه ربا لا يناسب تخصيص الطالب واما هاهنا فالموضع موضع هيبة وعظمة وعرض حال فقال ربنا ما اطغيته فان قيل ما الوجه اتصاف الضلال بالبعد فالجواب ان الضال يكون اكثره ضلالا عن الطريق فاذا تمادى في الضلال وبقي فيه مدة يبعد عن المقصد كثيرا فاذا عدم الضلال قصرت الطريق عن قرب فلا يبعد عن المقصد كثيرا فقوله ضلال وصف للمصدر بما يوصف به الفاعل كما يقال كلام صادق وعيشة راضية اي وضلال ذو بعد او الضلال اذا بعد مداه وامتد الضلال فيه فيصير بينا ويظهر الضلال لان من حاد عن الطريق وبعد عنه يبعد عليه الصواب ولا يرى للمقصد اثرا فيتبين له انه ضل عن الطريق وربما يقع في اودية ومفاوز يظهر لدا امارات الضلال بخلاف من حاد قليلا فالضلال وصفه الله بالوصفين في كثير من المواضع فتارة قال في ضلال مبين واخرى في ضلال بعيد فان قيل كيف قال ما اطغيته مع انه قال لاغوينهم اجمعين فالجواب من ثلاثة اوجه تقدم منها وجهان في الاعتذار عما قاله الزمخشري والثالث ان المراد من قوله لاغوينهم اي لاديمنهم على الغواية كما ان الضال اذا قيل له تحصر انت على الجادة فلا يتركها فيقال انه يضله كذا هاهنا فقوله ما اطغيته اي ما كان ابتدا الاطغا مني قوله لا تختصموا لدي استيناف ايضا كانه قايلا قال فماذا قال الله له فاجيب قال لا تختصموا وقوله لدي بعيد مفهوم ان الاختصام كان ينبغي ان يكون قبل الحضور والوقوف بين يدي قوله وقد قدمت جملة حالية ولا بد من تاويلها وذلك ان النهي في الاخرة والتقدم بالوعيد في الدنيا فاختلف الزمانان فكيف يصح جعلها حالية وتاويلها هو ان المعنى وقد صح اني قدمت وزمان الصحة وزمان النهي واحد وقدمت يجوز ان يكون بمعنى تقدمت فيكون الباء للحال ولا بد من حذف مضاف اي وقد تقدم قولي لكم ملتبسا بالوعيد ويجوز ان يكون قدمت على حاله متعديا والباء مزيدة في المفعول اي قدمت اليكم الوعيد كقوله تعالى تنبت بالدهن على قول من قال بزيادتها هنالك وقيل الباء هنا للمصاحبة كقولك اشتريت الفرس بلجامه وسرجه اي معه وكانه تعالى قال قدمت اليكم ما يجب مع الوعيد على تركه والانذار قوله ما يبدل القول لدي اي لا تبديل بل القول وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين

King Saud University

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)